

وَقْتُ لِلثِّقَةِ

المحاضرة ٤: الثِّقَةُ فِي الْمَسِيحِ

ستيفن نيكيلس

نَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنْ ثِقَتِنَا، وَفِي هَذِهِ الْمُحَاضِرَةِ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ ثِقَتِنَا فِي الْمَسِيحِ. قَدْ تَحَدَّثْنَا قَبْلًا فِي الْمُحَاضِرَةِ الثَّانِيَةِ عَنْ ثِقَتِنَا فِي اللَّهِ كَوْنَهُ كَلِّي الْقُدْرَةِ. وَشَاهَدْنَا تِلْكَ الْإِعْلَانَاتِ عَنْ قُدْرَتِهِ. وَوَصَلْنَا فِي الثَّاهِيَةِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ سَرَّ بِإِعْلَانِ قُوَّتِهِ فِي الْإِنِّ. وَبِمَا أَنَّنَا مُتَّحِدُونَ بِالْمَسِيحِ- مِنْ عَقِيدَةِ الْإِتِّحَادِ بِالْمَسِيحِ الرَّائِعَةِ- جُلِبْنَا لِتَشَارِكِ فِي مِلءِ الْبَرَكَاتِ الَّتِي يَنَالُهَا الْمَسِيحُ وَتِلْكَ الَّتِي لَهُ. وَيَرُوقُ لَنَا الْإِتِّهَاجُ بِهَذَا.

فِي الْحَقِيقَةِ، إِنْ نَظَرْتُمْ مَعِي فِي الْآيَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْأَصْحَاحِ الثَّالِثِ مِنَ الرَّسَالَةِ إِلَى أَهْلِ فِيلِيبِّي، سَتَرَى أَنَّ التَّصْفَ الْأَوَّلَ مِنَ الْآيَةِ الْعَاشِرَةِ إِجْبَائِيٌّ لِلْعَايَةِ؛ إِذْ يُفَسِّرُ مَعْنَى الْكَيْنُونَةِ فِي الْمَسِيحِ وَمَعْنَى مُشَارِكَتِهِ فِي كُلِّ مَا صَنَعَهُ. لِذَا هُنَا نَقْرَأُ بُولُسَ يُخْبِرُنَا "لَاَعْرِفُهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ". لَكِنْ إِنْ كَانَ قَدْ تَوَقَّفَ هُنَا، لَكَانَتْ آيَةٌ فِي غَايَةِ الرَّوْعَةِ. إِنَّمَا لِآيَةِ بَقِيَّةٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ فَيَسْتَرْسِلُ لِخُبْرَانَا أَمْرًا عَلَيْنَا جَمِيعًا التَّكْفِيرُ فِيهِ. فَهُوَ يَسْتَرْسِلُ لِخُبْرَانَا بِأَمْرٍ لَا لِثِيٍّ سِوَى التَّوَقُّفِ لِزُهْرَةٍ وَاسْتِخْلَاصِ آثَارِهِ كَافَّةً. يَسْتَرْسِلُ بُولُسُ قَائِلًا: "وَشَرِكَةُ آلَامِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ". نَعَمْ، تَرُوقُ لَنَا عِبَارَةُ الْإِتِّحَادِ بِالْمَسِيحِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَعْنِي عُفْرَانَ الْخَطَايَا، وَالْإِتِّصَارَ عَلَى أَعْدَائِنَا كَافَّةً بِمَا فِيهِمُ الْمَوْتُ. وَتَرُوقُ لَنَا قِيَامَتُنَا إِلَى جِدَّةِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ. لَكِنَّ الْإِتِّحَادَ بِالْمَسِيحِ يَعْنِي أَيْضًا أَنَّنَا سَنُشَارِكُهُ الْآمَهُ، وَكَمَا يَقُولُ بُولُسُ هُنَا "سَنَتَشَبَّهُ بِمَوْتِهِ". فَمَاذَا يَعْنِي هَذَا؟ خَاصَّةً وَأَنْتِي أُرِيدُ التَّمَعَّنَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِآثَارِ هَذَا فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا.

إِذَا أَمَكَّنَا الْعُودَةَ جِيَلًا إِلَى الْوَرَاءِ، دَعُونَا نَعُودُ إِلَى بَدَايَةِ جِيَلِ السَّبْعِينِيَّاتِ. فَإِنْ عُذْنَا إِلَى هَذَا الْجِيَلِ، مِنَ السَّبْعِينِيَّاتِ إِلَى الْعُشْرِيَّةِ الْأُولَى مِنَ الْأَلْفِيَّةِ الثَّالِثَةِ، سَنَلْحِظُ قِيَامَ "حَرَكَةِ شَعْبِ يَسُوعَ". أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَتَتَذَكَّرُونَ عِلَامَةَ هَذِهِ الْحَرَكََةِ، عِلَامَةَ "الطَّرِيقِ الْوَاحِدِ". فَتَرَى بَدَايَاتِ الْمُسِيْقَى الْمَسِيْحِيَّةِ، وَالْمُسِيْقَى الْمَسِيْحِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةَ فِي سَبْعِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِينَ. كَمَا تَرَى بَدَايَةَ انْتِشَاعِ تِلْكَ الْعِمَامَةِ الَّتِي خِيَمَتْ عَلَى الْمَسِيْحِيَّةِ جَرَاءَ مُحَاكَمَةِ قِرْدِ سَكُونِس. فَإِنْ عُذْنَا إِلَى عَامِ ١٩٢٥ وَإِلَى قَضِيَّةِ قِرْدِ سَكُونِس كُنَّا قَدْ خَرَجْنَا مِنْهَا وَلَنَا ذَيْلٌ بَيْنَ أَرْجُلِنَا وَنُحْنُ كَالْقَرْدَةِ. لَكِنْ وَفَجَاءَ فِي عَامِ ١٩٧٦، أُعْلِنَتْ مَجَلَّةُ تَايْم - غَيْرُ الْمُحَافِظَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ - أَنَّ عَامَ ١٩٧٦، هُوَ "عَامُ الْإِنْجِيلِيِّينَ". لَقَدْ وَصَلْنَا. كُنَّا- أَتَتَذَكَّرُونَ هَذَا مِنَ الْمُدْرَسَةِ الْإِعْدَادِيَّةِ؟ كُنَّا نَقُولُ إِحْدَى هَذِهِ الْعِبَارَاتِ فِي الْمُدْرَسَةِ الْإِعْدَادِيَّةِ مِثْلُ أَنِّي جَلَسْتُ إِلَى "طَاوَلَةِ الرَّائِعِينَ". أَتَتَذَكَّرُونَ طَاوَلَةَ الرَّائِعِينَ؟ مِثْلَمَا أَرَادَ الْجَمِيعُ الْجُلُوسَ إِلَى طَاوَلَةِ الرَّائِعِينَ، كُنَّا نَجْلِسُ إِلَى طَاوَلَةِ الرَّائِعِينَ فِي الْمَجْتَمَعِ. الْآنَ، بِاسْتِزْجَاعِ هَذَا- تَرَى الْبَعْضَ نَظَرُوا إِلَى هَذَا وَتَحَدَّثُوا، لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ عَنْ تَأْثِيرِ

المسيحيين، لكيهم يتحدثوا بعض الشيء عن أسطورة تأثير المسيحيين في ذلك الجيل الماضي. لكننا استمتعنا حقًا بامتياز الجلوس إلى الطاولة.

في هذا الجيل الحالي، نجد أنفسنا -متطلعين إلى العشريّة الثانيّة من الألفيّة الثالثة- في ثقافةٍ مختلفةٍ. نرى أنّ طاولّة الرّايين لا ترعب في جلوسنا إليها. لذا نطرح أسئلةً جديدةً حول ما يعنيه أن نكون مسيحيين وسط الثقافة. من نواحٍ عدّة، أعتقد -ونحن نتوقّع إلى أين ستؤول الأمور خاصّة الثقافي منها، وماذا يعني الأمر للثابتن بحقّ على قناعتهم بالكتاب المقدس- أننا أكثر وفاءً مع أسفار العهد الجديد من الأجيال السابّقة؛ خاصّةً، وأنا أفصدُ هنا، نحن ككنيسةٍ أمريكيّةٍ أو كنيسةٍ عربيّةٍ. إذ إنّ كثيرين من إخواننا وأخواتنا في المسيح حول العالم يختبرون -حقًا- الاختبارات التي يفروونها في العهد الجديد ويظهر صداها مباشرةً في حياتهم وفي ما يختبرونه. بالنسبة لنا، فهذا النوع من الثقافة يلقبها علماء الاجتماع "بالتهميشيّة". فهذه "الثقافة التهميشيّة" قد تُعدّ شيئًا جديدًا بعض الشيء علينا، فهي تعني مواجهة الألم ومواجهة الاضطهاد وهي تُعدّ المياه الجديدة التي ندخلها إلى هذا السياق الثقافي الذي نجد أنفسنا فيه. ومرّةً أخرى، في ذهني في الغالب الكنيسة الأمريكيّة أو الكنيسة العربيّة. ونحن نتوقّع أكثر فيما يطلق عليه باطراد ثقافة "ما بعد المسيحيّة"، هل سجد أنّ صدى عبارة "شركة آلامه" أوسع بعض الشيء ممّا نخبره نحن؟ وماذا يعني "التشبه بموته"؟ فحين ننظر إلى ما عناه موت المسيح في عصره، فقد كان يعني العار. فقد قال ديثرش بنهور ذات مرّة: "الملك المائت على الصليب هو ملكٌ لملكٍ فريده حقًا". ونحن الآن نصيغ الصليب في شكلٍ حلّيٍّ جميل، ونستخدم لصنعه معادن نفيسة وغالية الثمن. لكنّه كان في القرن الأوّل علامة الإعدام. وليس ذلك فحسب، بل لإعدام أدنى الوضعا. ففي الثقافة الرومانيّة، كان الصليب ببساطة رمزًا للعار. إذ مثل الصليب أوضع المنبوذين من المجتمع الذين لم يهتمشوا فحسب، بل قطعوا من المجتمع. وهذا صار في المركز، صار هذا الرمز في مركز هويتنا نحن الكنيسة. هذا رمز العار، هذا رمز الضعف. لذا حين نتحدّث عن وضع ثقبتنا في المسيح، أريد النظر إلى هذا بأنه نوع من الثقة ذات عدّة أبعاد. إذ من جهة، نرى أنّ المسيح في الحاضر ملكًا مالكا. نتحدّث عن المسيح شاغلًا أدواره الثلاثة -نبيًا وكاهنًا وملكًا. وملك هو يملك. ويملك على جميع الأشياء. وهذا بكل تأكيد أساس لنا لنضع ثقبتنا فيه. المسيح ملك. المسيح يملك. فالأمر ليس أنّه سيملك في المستقبل؛ بل يملك الآن. وهذا أساس قاعدة الثقة.

لكن يقبّع أساس آخر للثقة ويتعلّق بمفهوم ما يمثله الصليب؛ إن قبول هذه الأشياء المنافية تمامًا للمنطق -مثل قبول الألم والخزي- الذي يبدو مخالفًا جدًا للمنطق، إنّما أعتقد أنّ صفحات الكتاب المقدس تعلّم في الواقع أنّه في صلب هويتنا ومركزها. أتدكرونها. في مرحلة ما، حين قال المسيح لتلاميذه: "هل التلميذ أفضل من معلمه؟" فهذا ما قاساه المسيح. فهل تلاميذ المسيح أفضل من معلمهم؟

حَسَنًا، لِتَتَمَعَنَّ فِي هَذَا، أَمَامَنَا هُنَا فِي الرَّسَالَةِ إِلَى أَهْلِ فِيلِي، لَكِنَّ أَيْضًا مَعَنَا مَا يُعَدُّ أَحَدَ أَرْوَاعِ مَقَاطِعِ بُولْسِ وَهُوَ الْأَصْحَاحُ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رِسَالَتِهِ الثَّانِيَةِ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ. الَّذِي يُعَدُّ مِنْ سِيرَةٍ ذَاتِيَّةٍ تَرِيدُنَا مَعْرِفَةً بِبُولْسِ. فَقَدْ كُنَّا ذَكَرْنَا سَابِقًا مِنَ الْأَصْحَاحِ الْأَرْبَعِينَ مِنْ سِفْرِ إِشْعِيَاءَ بِأَنَّ إِشْعِيَاءَ النَّبِيَّ قَدَّمَ فِيهِ بَعْضَ السُّخْرِيَّةِ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْأَصْنَامِ الْحَشَبِيَّةِ الَّتِي صُنِعَتْ مِنْ أَجْلِ التَّحَلِّيِ بِالثَّقَّةِ بِيَدِ صَانِعِ حَادِقٍ كَيْ لَا تَسْقُطَ. وَهُنَا أَيْضًا نَقَرْنَا بَعْضَ التَّهَكُّمِ. تَرَى تَلْمِيحًا بَسِيطًا عَنْهَا فِي الْآيَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْأَصْحَاحِ السَّابِقِ، حِينَ اسْتُخْدِمَ بُولْسُ تَعْبِيرَ "فَائِقِي الرُّسُلِ". وَهَذَا مُؤَشِّرٌ لَنَا عَلَى أَنَّ بُولْسَ مُتَهَكِّمٌ بَعْضَ الشَّيْءِ، بِاسْتِخْدَامِهِ الْمُبَالَغَةَ لِإِيصَالِ رُؤْيَيْهِ. فَهَذَا هُوَ بُولْسُ. فَمَاذَا يَحْدُثُ هُنَا؟ عَلَى مَا يَبْدُو أَنَّ بُولْسَ لَمْ يَكُنْ خَطِيبًا بَارِعًا حَقًّا. هَذَا بِحَسَبِ سِيَاقِ الْقُرْنِ الْأَوَّلِ الْمِيلَادِيِّ. إِذْ كَانَتْ رُومًا ذَاتَ تَقَافَةٍ تُمَجِّدُ الْقُوَّةَ، وَالْبُنْيَةَ الْجِسْمَانِيَّةَ، وَخَاصَّةً الْبُنْيَةَ الْجِسْمَانِيَّةَ الْمِثَالِيَّةَ. وَعَلَى مَا بَدَأَ أَنَّ بُولْسَ لَمْ يَتَمَتَّعْ بِذَلِكَ. لِذَا فَهَمَ مِنْ حَدِيثِهِ عَنِ "شَوْكَةِ فِي الْجَسَدِ" أَنَّهَا رُبَّمَا عَلَّةٌ فِي ظَهْرِهِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ فَقَدْ تَحَطَّمتْ بِهِ سَفِينَتَانِ، وَأُنزِلَ مِنْ عَلَى سُورٍ فِي سُلٍّ، وَرُبَّمَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ، قَدْ سَقَطَ بِقُوَّةِ عَلَى الْأَرْضِ. لِذَا رُبَّمَا أَصَابَتْهُ عَلَّةٌ فِي ظَهْرِهِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لِذَا مِنَ الْمُحْتَمَلِ كَانَ بُولْسُ -بَعْدَمَا أَخَذْنَا انْطِبَاعًا عَنْهُ- أَقَلَّ مِنَ الْمَعَايِيرِ الرُّومَانِيَّةِ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْدُو عَلَيْهِ الْقَائِدُ. لِذَا فَتَحْنُ أَمَامَ نَوْعِيَّةِ الشَّخْصِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي طَلِيعَةِ حَرَكَتِنَا. لِذَا أَطْلَقَ بُولْسُ عَلَيْهِمْ "فَائِقِي الرُّسُلِ". أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ فَيَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى مِنَ الْأَصْحَاحِ ١٢: "إِنَّهُ لَا يُوفِقُنِي أَنْ أَفْتَحِرَ". إِنَّهُ رَبَّطَ مُبَاشِرًا بِالْأَصْحَاحِ الْحَادِي عَشَرَ، إِذْ بِاسْتِظَاعَتِكَ الْقَفْرُ خَلَفًا عِدَّةَ آيَاتٍ حِينَ يَقُولُ: "إِنْ كَانَ يَجِبُ الْإِفْتِحَارُ، فَسَأَفْتَحِرُ بِأَمْرِ صَعْفِي". أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ فَمَا سَنَتَمَعَنَّ فِيهِ الْآنَ فِي الْأَصْحَاحِ ١٢ هُوَ افْتِحَارُهُ بِصَعْفِي. فَمَا يَفْعَلُهُ هُنَا أَمْرٌ مُحَالِفٌ لِلتَّقَافَةِ، فَإِنْ كُنْتُ مُدِيرَ عِلَاقَاتِهِ الْعَامَّةِ، كُنْتُ سَأَنْصَحُهُ بِنَهْجِ سُلُوكِ آخَرَ إِنْ كَانَ يُجَاوِلُ كَسْبَ أَهْلِ كُورِنْثُوسَ. فَتَجِدُهُ يَقُولُ: "إِنَّهُ لَا يُوفِقُنِي أَنْ أَفْتَحِرَ فَإِنِّي آتِي إِلَى مَنَاطِرِ الرَّبِّ وَإِعْلَانَاتِهِ. أَعْرِفُ إِنْسَانًا فِي الْمَسِيحِ" -فَهَذِهِ طَرِيقَةٌ غَرِيبَةٌ لِتَعْرِيفِ الشَّخْصِ بِنَفْسِهِ، لَكِنَّ هَذَا بُولْسُ يَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ، فَهُوَ يُؤَطِّرُ تَعْرِيفَ نَفْسِهِ بِهَذَا الْأُسْلُوبِ: "أَعْرِفُ إِنْسَانًا فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةً" - سَنَعُودُ إِلَى هَذَا الْأَهْمِيَّةِ تَسْلُسُلِ الْأَحْدَاثِ.

أَعْرِفُ إِنْسَانًا فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةً. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ، أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللَّهُ يَعْلَمُ. اخْتِطَفَ هَذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةَ. وَأَعْرِفُ هَذَا الْإِنْسَانَ: أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللَّهُ يَعْلَمُ. أَنَّهُ اخْتِطَفَ إِلَى الْفِرْدُوسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لَا يُنْطِقُ بِهَا، وَلَا يَسُوعُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا. مِنْ جِهَةٍ هَذَا أَفْتَحِرُ. وَلَكِنَّ مِنْ جِهَةٍ نَفْسِي لَا أَفْتَحِرُ إِلَّا بِصَعْفَاتِي. فَإِنِّي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْتَحِرَ لَا أَكُونُ غَيْبًا، لِأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ.

وَإِنْ تَقَدَّمْتُمْ إِلَى الْمُقْطَعِ مِنَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ إِلَى الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ وَالثَّلَاثِينَ، سَتَرَوْنَ مَا أَفْتَحِرَ بِهِ بُولْسُ. لَقَدْ أَفْتَحِرَ بَعْدَ مَرَّاتٍ سَجْنِهِ. لَقَدْ أَفْتَحِرَ بَعْدَ مَرَّاتٍ جَلْدِهِ. لَقَدْ أَفْتَحِرَ بَعْدَ مَرَّاتٍ تَحَطُّمِ السُّفْنِ بِهِ. أَنْصِتُوا، إِنْ أَرَدْتُمْ

مُنَافَسَةً بُولَسَ الرَّسُولِ، لَا تُحَاوِلُوا حَتَّى. لَا يُمَكِّنُكُمْ مُنَافَسَةُ هَذَا الرَّجُلِ. فَإِنْ أَرَادَ الْاِفْتِخَارَ، بِاسْتِطَاعَتِهِ الْاِفْتِخَارُ. لَكِنَّهُ لَنْ يَفْعَلَ هَذَا. فَيَتَابِعُ قَائِلًا:

"لِأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ. وَلَكِنِّي أَتَحَاشَى لِئَلَّا يَظَنَّ أَحَدٌ مِنْ جِهَتِي فَوْقَ مَا يَرَانِي أَوْ يَسْمَعُ مِنِّي. وَلِئَلَّا أَرْتَفِعَ بِقِرْطِ الْإِعْلَانَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِي، لِئَلَّا أَرْتَفِعَ. مِنْ جِهَةِ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي:

-مَا قَالَهُ هُنَا حَدَثَ قَبْلًا لَكِنَّ بُولَسَ كَانَ يَتَذَكَّرُهُ جَلِيًّا كَمَا لَوْ أَنَّهُ حَدَثَ فِي أَثْنَاءِ كِتَابَتِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ-

"فَقَالَ لِي: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ". فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيَّةِ فِي ضَعْفَاتِي، لِكِنِّي تَحَلَّلْتُ عَلَى قُوَّةِ الْمَسِيحِ. لِذَلِكَ أَسْرُّ بِالضَّعْفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالِاضْطِهَادَاتِ وَالضَّيْقَاتِ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ. لِأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ".

"لِأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ". حَسَنًا، ثَلَاثَةُ أُمُورٍ أَذْهَلْتَنِي فِي هَذَا الْمَقْطَعِ. فِي الْوَاقِعِ، كَثِيرَةٌ هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي أَذْهَلْتَنِي، لَكِنَّنَا لَنْ نَتَحَدَّثَ سِوَى عَن ثَلَاثَةِ أُمُورٍ. الْأَمْرُ الْأَوَّلُ، مَا الَّذِي يَسْتَعِينُ بُولَسَ بِهِ لِيَتَحَدَّثَ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ؟ وَهُوَ لَا يَسْتَعِينُ بِمَا كُنَّا لِنَسْتَعِينُ نَحْنُ بِهِ. إِنْ كُنْتُمْ مَكَانَهُ، أَوْ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ بِيَدِي، لَكُنَّا اسْتَعْنَا بِمَنْبَرِ الرُّوْيَا. فَمَا يَحْدُثُ هُنَا أَنَّ سُلْطَتَهُ الرُّوْحِيَّةَ تَتَعَرَّضُ لِلطَّعْنِ. سُلْطَتُهُ الرُّسُولِيَّةُ كَانَتْ تَتَعَرَّضُ لِلطَّعْنِ مِنْ أَهْلِ كَنِيسَةِ كُورِنْثُوسَ. وَهُنَا لَيْسَ بُولَسَ فَحَسَبُ مَنْ كَانَ عَلَى الْمِحْكَ، بَلْ كَانَ الْإِنْجِيلُ نَفْسُهُ. فَيُمْكِنُنَا بِسُهُولَةٍ فَتْحُ قَضِيَّةٍ قَائِلِينَ: "سَوْفَ أَقْضِي عَلَى هَذَا الْآنَ. مَهَلًا، دَعُونِي أَخْبِرْكُمْ بِالرُّوْيَا الَّتِي رَأَيْتُهَا. رُؤْيَا الْفِرْدُوسِ. وَسَأَكْتُبُ كِتَابِي، وَسَنَحَقِّقُ نَجَاحًا، وَسَنَعْفِدُ نَدَوَاتٍ، وَسَأَخْبِرْكُمْ كَيْفَ كَانَتْ دَقَائِقِي الثَّلَاثِ". أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ إِنْ كُنَّا مَكَانَهُ -فَلْتَضْحَكُوا لَا بَأْسَ- إِنْ كُنَّا مَكَانَهُ، دَعُونَا أَلَّا نَخْذَعُ أَنْفُسَنَا، لَكُنَّا اسْتَعْلَلْنَا الرُّوْيَا لِنَقُولَ: اسْمَعُونِي! لَدَيْ أَمْرٍ مُهِمٍّ لَأَقُولُهُ. لَكِنَّ بُولَسَ لَمْ يَفْعَلْ هَذَا. لَقَدْ اسْتَعَانَ بُولَسَ "بِشَوْكَةِ جَسَدِهِ" بُرْهَانًا عَلَى سُلْطَتِهِ. فَيَقُولُ: "اسْمَعُوا لِي بِسَبَبِ ضَعْفِي". يَبْدُو أَنَّ مَجَازِيَةَ الْاِتِّهَامِ لَمْ يَكُنْ فَحَسَبُ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ، بَلْ إِنَّهُ أَيْضًا مُخَالِفٌ لِلثَّقَافَةِ بِحَسَبِ تَقْدِيرِهِمْ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ. كَانَ الضَّعْفُ هُوَ الْمَنْبَرُ لَا الرُّوْيَا. فَمِنْ عَلَى مَنْبَرِ ضَعْفِهِ تَحَدَّثَ بُولَسَ.

أَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي الَّذِي أَرَاهُ مُثِيرًا لِلَاِهْتِمَامِ هُنَا يَتِمَثَّلُ فِي تَسْلُسُلِ الْأَحْدَاثِ. إِذْ يَقُولُ: "قَبْلَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً". لَقَدْ اسْتَعْنَتْ بِعَرَّافٍ -وَهَذَا الْعَرَّافُ هُوَ "الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ الدَّرَاسِيُّ الْمُصْلِحُ"- وَمِنْهُ عَلِمْتُ أَنَّ الرِّسَالَةَ الثَّانِيَةَ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ كُتِبَتْ عَامَ ٥٥ بَعْدَ الْمِيلَادِ. فَإِنْ طَرَحْنَا مِنْهَا ١٤ عَامًا، سَنَجِدُ أَنْفُسَنَا فِي الْعَامِ ٤١ بَعْدَ الْمِيلَادِ. وَاسْتَعْنَتْ بِالْعَرَّافِ ثَانِيَةً، وَأَعْلَمَنِي أَنَّ بُولَسَ آمَنَ بَيْنَ عَامَيْ ٣٣ وَ ٣٦ تَقْرِيْبًا، وَيُرَجَّحُ أَنَّهُ فِي عَامِ ٣٤ بَعْدَ الْمِيلَادِ. أَلَيْسَ هَذَا مُثِيرًا

لِلْإِهْتِمَامِ؟ لَقَدْ تَعَلَّمْتُ بُولُسُ هَذَا الدَّرْسَ عَقِبَ إِيمَانِهِ. أَتَرَوْنَ هَذَا؟ بَعْدَ ٧ أَعْوَامٍ مِنْ إِيمَانِهِ، أُعِيدَ بُولُسُ إِلَى حَلْقَةِ التَّعْلِيمِ لِغَايَةِ تَعَلُّمِ دَرْسٍ فِي غَايَةِ الأَهْمِيَّةِ. وَكَانَ الدَّرْسُ: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي". فَمَا يُخْبِرُنِي بِهِ تَسَلُّلُ الأَحْدَاثِ هُوَ أَنَّ الأَمْرَ لَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّشَدُّقِ بِضَعْفِنَا حَتَّى نُدْرِكَ أَتْكَالَنَا الكَامِلَ عَلَى المَسِيحِ، وَحَتَّى تُغْفَرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُنْسَبَ لَنَا بِرُّهُ، وَحَتَّى نَقِفَ أَمَامَ إِلَهٍ قُدُّوسٍ. هَذَا لَيْسَ عَنِ الإِيمَانِ. هَذَا عَنِ عَيْشِ الحَيَاةِ المَسِيحِيَّةِ. هَذَا عَنِ عَيْشِ الحَيَاةِ المَسِيحِيَّةِ. هَذَا عَنِ عَيْشِ الحَيَاةِ المَسِيحِيَّةِ. كَمَا أَنَّ مِفْتَاحَ الآيَةِ هُنَا لَيْسَ تَسَلُّلُ الأَحْدَاثِ فَحَسْبُ. بَلْ مِفْتَاحُهَا فِي الفِعْلِ "تَكُونُ" (المَحْدُوفِ) تَقْدِيرًا فِي تَرْجُمَتِهَا الحُرْفِيَّةِ "نِعْمَتِي [تَكُونُ] كَافِيَةً". كَمَا أَنَّ كَلِمَةَ نِعْمَةٍ بَدِيعَةٌ. أَعَشَقْتُ هَذِهِ الكَلِمَةَ. يَا لَهَا مِنْ كَلِمَةٍ عَظِيمَةٍ، وَمِثْلُهَا جُمْلَةٌ "تَكْفِيكَ" جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ أَيْضًا. وَمِثْلُهُمَا جُمْلَةٌ "نِعْمَتِي"، نِعْمَةُ اللهِ، جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ أَيْضًا. فَالْكَلِمَةُ المِفْتَاحِيَّةُ هِيَ "تَكُونُ". فَنِعْمَةُ اللهِ "تَكُونُ كَافِيَةً لَكَ". "لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ". فَهَذِهِ الآيَةُ لَيْسَتْ بِبَسَاطَةٍ عَنِ الإِيمَانِ. لَيْسَتْ عَنِ كَيْفِيَّةِ قَبُولِ المَسِيحِ مُدْرِكِينَ نَهَايَةَ أَنْفُسِنَا وَعَجَزْنَا المُنْطَلَقِ، فَلِذَا نَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى المَسِيحِ لِأَنَّهُ هَذَا مَا يَوْسَعُنَا فِعْلُهُ، لِأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِدْخَالَنا إِلَى عِلَاقَةٍ مَعَ اللهِ القُدُّوسِ. أَمْرٌ آخَرٌ يُجْرِي هُنَا. هَكَذَا نَعِيشُ الحَيَاةَ المَسِيحِيَّةَ، بِإِدْرَاكِ ضَعْفِنَا وَأَنَّ قُوَّتَنَا وَقُدْرَتَنَا تَنْبُعُ مِنَ المَسِيحِ.

فَالأَمْرُ الآخَرُ الَّذِي يَحْدُثُ هُنَا يَتَمَثَّلُ فِي أَنَّ ضَعْفَنَا وَنَحْنُ بَدَوَاتِنَا نَتَّحِدُ بِالمَسِيحِ. يَا لَهُ مِنْ أَمْرٍ مُثِيرٍ حِينَ تُفَكَّرُونَ فِيهِ. فَكُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّجَسُّدِ يُشِيرُ عَكْسًا مَا كَانَ يُقَدِّرُهُ القَرْنُ الأوَّلُ المِيلَادِيُّ. فَكُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّجَسُّدِ يُعَدُّ مُحَالِمًا لِلْمُنْطِقِ. بَادِئُ ذِي بَدءٍ، يَنْبَغِي لَنَا البَدْءُ قَبْلَ مِيلَادِ المَسِيحِ مِنَ العُدْرَاءِ مَرِيَمَ، الحَادِثَةُ الَّتِي يَحْدُثُ دَاتِهَا مُذْهَلَةٌ. مَرِيَمَ لَيْسَتْ خِيَارًا صَائِبًا. عَلَى مَا بَدَأَ كَانَتْ فَفِيرَةٌ وَعَيْرٌ مَعْرُوفَةٌ، يُمَكِّنُنَا القَوْلُ إِنَّهَا فَتَاةٌ "مُهَمَّشَةٌ اجْتِمَاعِيًّا". وَبِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ عِنْدِهَا بَدَأَتْ قِصَّةُ التَّجَسُّدِ. نَرَى هَذَا الضَّعْفَ البَشَرِيَّ، وَهَذَا التَّهْمِيشَ لَدَى مَرِيَمَ فِي بَدَءِ التَّجَسُّدِ.

ثُمَّ، يَحْدُثُ المِيلَادُ. لَمْ يُولَدْ المَسِيحُ فِي مَكَانٍ عَظِيمٍ، بَلْ فِي مِرْوَدٍ خَلْفِيٍّ لِعَدَمِ تَوَافُرِ عُرْفَةٍ فِي التُّرُلِ. وَعَاشَ المَسِيحُ بَدَءَ حَيَاتِهِ فِي عُمُوضٍ نِسْبِيٍّ. أَلَى مِنْ عَائِلَةٍ تَنْتَبِي إِلَى طَبَقَةٍ دُنْيَا، وَمِنْ طَبَقَةٍ عَامِلَةٍ. هَذَا السِّيَاقُ غَيْرُ مُتَّصِلٍ، إِنْ كُنَّا نَحْنُ مَنْ يَدُونُ، كُنَّا عَلَى الأَرْجَحِ لِنُدْخَلَ الإِلَهَ-الإِنْسَانَ إِلَى العَالَمِ عَلَى نَحْوِ مُخْتَلِفٍ تَمَامًا. لَكِنَّا نَتَعَلَّمُ شَيْئًا هُنَا.

ثُمَّ التَّلَامِيذُ. أَتَعَلَّمُونَ، مِنْ حِينِ إِلَى آخَرَ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ التَّلَامِيذَ أَدْرَكُوا هَذَا. أَتَتَدَكَّرُونَ بِطَرُسُ؟ حِينَمَا كَانَ التَّلَامِيذُ مَعًا وَيَسْأَلُهُمُ الرَّبُّ يَسُوعُ: "مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟ فَقَالُوا: قَوْمٌ... إِيْلِيَا، وَآخَرُونَ: هَذَا وَآخَرُونَ: ذَلِكَ. قَالَ لَهُمْ: "وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟". فَأَجَابَ بِطَرُسُ: حَسَنًا، هَذَا جَلِيٌّ. أَنْتَ هُوَ المَسِيحُ. فَأَجَابَ الرَّبُّ يَسُوعُ: "بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ يَا بِطَرُسُ. إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنَ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. ثُمَّ أَرَدَفَ: مِنْ نَمٍّ؟ لَا بَدَّ أَنْ أَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، لِأَنِّي يَنْبَغِي أَنْ أَمُوتَ. فَيَقُولُهُ لَهُ بِطَرُسُ: لَا! لَا يُمَكِّنُكَ فِعْلُ هَذَا. فَيَرُدُّ عَلَيْهِ الرَّبُّ يَسُوعُ قَائِلًا: "أَخْطَأْتُ القَوْلَ يَا بِطَرُسُ". فِي الوَاقِعِ، سَتَحْزَنُ إِنْ التَّفَّتْ نَحْوَكَ شَخْصٌ مَا وَقَالَ لَكَ: "أَذْهَبْ عَنِّي

يَا شَيْطَانُ! إِذْ بِبَسَاطَةٍ تَمْتَلِكُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ قُدْرَةً عَلَى تَشْيِيطِكُمْ بَعْدَ حَالَةِ النَّشْوَةِ الَّتِي اعْتَرَتْ بَطْرُسَ لِسْمَاعِ بِالصَّوَابِ أَجَبَتْ مَرَّةً أُخْرَى. فَحَتَّى التَّلَامِيذُ -الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ الْأَقْرَبِينَ إِلَى الْمَسِيحِ- لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ اسْتِيعَابِ فِكْرَةِ الصَّلِيبِ. الْمَلِكُ الْمَائِتُ عَلَى الصَّلِيبِ هُوَ مَلِكٌ لِمَمْلَكَةِ فَرِيدَةٍ حَقًّا.

أَتَعْلَمُونَ، فِي نَهَايَةِ مَوْسُوعَةَ "أُسُسُ الدِّينِ الْمَسِيحِيِّ" لِيُؤْنَ كَالْفِنِ، فِي الْكِتَابِ الرَّابِعِ -أَنَا فِي رَاحَةٍ عَظِيمَةٍ لِأَنَّ بِحُورَتِي هُنَا مَوْسُوعَةَ "أُسُسُ الدِّينِ الْمَسِيحِيِّ" كُلَّمَا أَحْتَاجُ إِلَيْهَا؛ اجْعَلُوهَا بِالْقُرْبِ مِنْكُمْ دَائِمًا. فِي نَهَايَةِ الْكِتَابِ الرَّابِعِ، يَتَحَدَّثُ كَالْفِنِ عَنِ الدَّوَلَةِ. فِي الْفَصْلِ الْعِشْرِينَ مِنَ الْكِتَابِ الرَّابِعِ، فِي الْحُزْرِ الْأَخِيرِ مِنَ الْمَوْسُوعَةَ، يَتَحَدَّثُ عَنِ الْعِلَاقَةِ مَعَ الدَّوَلَةِ. فَيَقُولُ الْآتِي:

فِي الْحَقِيقَةِ، يَنْبَغِي لِلْمَسِيحِيِّينَ أَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ وُلِدُوا لِيَتَحَمَّلُوا الْاِفْتِرَاءَ وَالْإِيْدَاءَ؛ وَمُتَوَقِّعِينَ حُبَّتِ الْأَشْرَارِ وَخِدَاعَهُمْ وَاسْتَهْزَاءَهُمْ. وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، يَنْبَغِي لَهُمْ تَحْمُلُ كُلِّ هَذِهِ الشَّرُورِ بِطُولِ أَنَاةٍ. أَيُّ، يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّوْا بِهَذِهِ السَّكِينَةِ الرُّوحِيَّةِ الْمُثَلَّى بِأَنَّهُمْ حِينَ يَهَانُونَ، يَسْتَعِدُّونَ لِتَلْقَى الْمَزِيدِ، وَلَا يُكْرَسُونَ أَنْفُسَهُمْ طَوَالَ حَيَاتِهِمْ سِوَى لِحْمِلِ صَلِيبٍ إِلَى الْمُنْتَهَى.

يَتَعَلَّقُ شَيْءٌ مَا بِإِدْرَاكِ اتِّحَادِنَا بِالْمَسِيحِ، وَوَضِعِ ثِقَتِنَا فِيهِ بَعْضَ النَّظَرِ عَنِ النَّاتِجِ الْخَارِجِيِّ، وَبَعِيدًا عَنِ تِلْكَ التَّوَقُّعَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَأَوْلِيَّاتِهَا، وَحَتَّى إِنْ كَانَتْ فِي تَعَارُضٍ. مَاذَا تَعْنِي مُشَارَكَةُ آلامِهِ؟

أَلْقَى لُوَثْرُ عَظْمَتَهُ الْأَخِيرَةَ فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ يَنَايِرِ عَامِ ١٥٤٦، فِي سَلُوشِكِيرِك (Schlosskirche)، كَنِيسَةَ الْقَلْعَةِ. وَعَقِبَهَا، عِلِمَ بُوُقُوعِ أَرْمَةِ فِي أَيْسَلِينِ. كَانَ هَرِمًا. لَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ فِي الْيَوْمِ عَيْنِهِ، كَتَبَ رِسَالَةً قَالَ فِيهَا: "أَنَا رَجُلٌ مُسِنٌّ وَمُنْعَبٌ وَبَطِيءٌ وَمُرْهَقٌ وَبَارِدٌ، وَفَوْقَ ذَلِكَ، رَجُلٌ لَا يَرَى سِوَى بَعِينٍ وَاحِدَةٍ" -كَانَ مُصَابًا بِإِظْلَامِ عَدَسَةِ الْعَيْنِ. كَانَتْ عَيْنُهُ مُعْطَاةً بِالْكَامِلِ. فَلَمْ يَكُنْ يَرَى -"رَجُلٌ عَلَى شَفَا الْمَوْتِ مِثْلِي، يُحَبِّدُ أَنْ أُتْرَكَ فِي سَلَامٍ". مَعْدِرَةٌ يَا لُوَثْرُ. لَنْ تَتْرُكَكَ فِي سَلَامٍ. فَلَنْسْتَدْعِهِ إِلَى أَيْسَلِينِ. رِحْلَةٌ مَرِيرَةٌ لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا. فَالْجَلِيدُ يَظْفُو عَلَى التَّهْرِ. وَالصَّفِيحَةُ الْجَلِيدِيَّةُ التَّصَقَّتْ بِرَصِيْفِ الْإِنْزَالِ، فَلَمْ يَقْدِرِ الْقَارِبُ عَلَى الْاِفْتِرَابِ كِفَايَةً مِنَ الرَّصِيفِ. فَاضْطُرُّوا إِلَى التَّرْجُلِ عَلَى ضَفَّةِ التَّهْرِ، وَبِجَرْدِ أَنْ نَزَلُوا، ابْتَلَّ كُلُّ شَيْءٍ، وَشَعَرُوا بِالْبُرُودَةِ أَكْثَرَ. يَا لَهُ مِنْ صَقِيْعٍ فِي أَلْمَانِيَا. شِتَاءٌ قَارِسٌ. وَلُوَثْرُ رَجُلٌ مُسِنٌّ. مُصَابٌ بِالْتَّهَابِ رَثْوِيٍّ. يَصِلُ إِلَى أَيْسَلِينِ. يُفَحِّصُ طَبِيًّا. يَعْظُ. يُسَاعِدُ الْبَلْدَةَ. يُصَالِحُهُمْ. يَحْلُ الْأَرْمَةَ. يَتَفَاقَمُ عَلَيْهِ الْمَرْضُ، شَارَفَ عَلَى الْمَوْتِ. فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ، كَاتِي تَسْمَعُ عَنْ هَذَا. تَتَوَتَّرُ. وَتُصَابُ بِالذُّعْرِ. فَيَرُدُّ عَلَيْهَا كَاتِبًا: "بِصُحْبَتِي رَاعٍ أَفْضَلَ مِنْكَ" فَهُوَ لَا يُجَاوِلُ أَنْ يَكُونَ فَظًّا. عَلَيْكَ إِنَّهَا الْأَمْرُ. "بِصُحْبَتِي رَاعٍ أَفْضَلَ مِنْكَ وَمِنْ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ، يَرُدُّ فِي مَزُودٍ وَيَرْضَعُ وَمِنْ نَدِيٍّ أُمَّه. لَكِنَّهُ الْجَالِسُ عَنِ يَمِينِ اللَّهِ الْآبِ الْقَدِيرِ". بِاسْتِطَاعَتِنَا الثَّقَةَ فِي الْمَسِيحِ لِأَنَّ إِدْوَارْدز -دَعْوَانِي أَرَى مَا إِذَا كُنْتُ أَفْتَبِسُهَا بِدِقَّةٍ- تَحَدَّثُ عَنِ "اِفْتِرَانِ الْجَلَالِ الْإِلَهِيِّ الرَّابِعِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ". أَتَعْلَمُونَ

مَاذَا يَعْني هَذَا؟ يَعْني أَنَّهُ الْمَلِكُ الْمُتَوَجُّعُ الْمَالِكُ عَلَى كُلِّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَّهُ الرَّضِيعُ الْعَاجِزُ فِي الْمِدْوَدِ. فَنَحْنُ الْمَسِيحُ نَضَعُ ثِقَتَنَا، كَيْ نَعْرِفَهُ وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَأَيْضًا كَيْ نُشَارِكُهُ آلامَهُ وَنُدْرِكَ مَلِيًّا مَعْنَى الصَّلِيبِ.

لِذَا كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنِ الثَّقَّةِ فِي الْمَسِيحِ. سَنَعُودُ فِي الْمُحَاضَرَةِ الْقَادِمَةِ لِتَتَحَدَّثَ عَنَّا ثِقَتَنَا فِي الْإِنْجِيلِ.

الدكتور ستيفن نيكيلس (@DrSteveNichols) هو مدير كلية الكتاب المقدس للإصلاح (Reformation Bible College)، والمسؤول الأكاديمي الرئيسي في خدمات ليجونير، وعضو هيئة التدريس في خدمات ليجونير. وهو مؤلف العديد من الكتب ويُقدِّم برامج إذاعية قصيرة بعنوان "٥ دقائق في تاريخ الكنيسة" (5 Minutes in Church History) و"الكتاب المفتوح" (Open Book).